د. خيرالدين دعيش

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سطيف 2

مقياس نظرية الأدب للسنة الثانية ليسانس

المحاضرة : المحاكاة عند أرسطو (2) .

-وظيفة الشعر (التطهير):

قام ارسطو بوصف آثار الأعمال الأدبية وفعلها في المتلقين، ولم يقتصر عمله على وصف أثر هذه الأعمال في المتلقين اثناء تلقيهم الأعمال الأدبية فحسب، بل حاول أن يصف أثرها بعد عملية التلقي، وكان منهجه هنا الوصف والدراسة والاستقراء فلم يبدأ بوضع مقدمات معينة ليصل إلى نتائج محددة تتفق وفلسفته الأخلاقية.

وإذا كان أفلاطون قد فصل بين المتعة والفائدة و..... إلى المنفعة الكلية فإن أرسطو يعد بحق أقدم النقاد الذين قالوا بالمتعة والفائدة ستخلصه من الدراسة الغيبية الوصفية.

ومع أن أفلاطون وأرسطو يتفقان في أن التراجيديا تنمي عاطفتي الشفقة والخوف فإنهما يختلفان بعد ذلك فبينما رفضها أفلاطون بسبب ذلك فقد اعتبرها أرسطو أرقى أشكال الشعر للسبب ذاته فقد رأى أفلاطون بأن التراجيديا تنمي عاطفتي الشفقة والخوف وتجعل الناس أكثر ضعفا، وهو يفسر ذلك بأن التراجيديا تجعل المؤلف والممثل والمشاهد يألفون الأفعال الشريرة مما يؤثر على سلوكهم اليومي، وأضاف بأن المأساة تجعل المشاهد أكثر حزنا وخوفا الأمر الذي يؤدي إلى استسلامه للعواطف والانفعالات، وبالتالي تبعده عن

استخدام العقل وتجعله إنسانا ضعيفا، ذلك أن المواطن القوي عند أفلاطون هو الذي يتسبب لنداء العقل لا للعاطفة فالإنسان إذا ألمت به مصيبة كفقدان ولده مثلا يحاول أن يبدو صبورا متجلدا أمام المعزين أما حين يصبح وحيدا فإنه يبكي مستسلما لعواطفه وهو في الموقف الأول يبدو قويا لأنه يستجيب لصوت العقل.

أما أرسطو فإنه يؤمن بأن التراجيديا تنمي عاطفتي الشفقة والخوف لكنها تجعل المشاهدين أكثر قوة من خلال فعل (التطهير) ..... فعند مشاهدتنا لتراجيديا (أوديب ملكا) ذلك الملك الذي انتهى إلى قتل أبيه والزواج من أمه دون أن يعرف، وحينما عرف ..... عينيه وهام على وجهه، فإننا نشعر بالشفقة على البطل التراجيدي لأن الكوارث التي حلت به لا يستحقها، كما أننا نشعر بالخوف لأن ما حدث للبطل قد يحدث لنا، ومن خلال الشفقة والخوف تظهر عواطفنا.

فالتراجيديا تتيح لنا تصريف العواطف المكبوتة الزائدة (البكاء في التراجيديا والضحك في الكوميديا) أي تجعلنا أكثر توازنا من الناحية الانفعالية والعاطفية وبالتالي الشعور بالراحة والقوة.

وعلى أية حال فإن تحديد وظيفة الشعر بالتطهير من خلال تنمية عاطفتي الشفقة والخوف يلقي بأضواء مهمة على الشروط التي أرساها أرسطو في بناء الأحداث ورسم شخصية البطل التراجيدي فكي تؤدي التراجيديا وظيفتها على أكمل وجه فمن الضروري أن تكون الحبكة التراجيدية معقدة وفيها تغير على نحو غير متوقع المفاجأة وأن يكون لها بداية ووسط ونهاية وأن تثير عاطفتي الشفقة والخوف.

أما البطل التراجيدي فينبغي أن تتوافر في رسمه عدة شروط هي:

1-أن ينتمي البطل إلى طبقة النبلاء أي أن يكون أميرا أو ملكا لأن سقوط النبيل أشد وقعا في النفوس وأكثر دويا من سقوط الانسان العادي.

2-ألا يكون فاضلا بشكل مطلق ولا رذيلا بشكل مطلق، لأن سقوط الفاضل يثير فينا عاطفة الاشمئزاز لا عاطفة الشفقة، كما أن سقوط الرذيل أو الشرير يثير فينا عاطفة الرضى لا عاطفة الشفقة، فعاطفة الشفقة تثار حينما تحل المصائب والكوارث بإنسان لا يستحقها.

3-يجب أن ينتقل البطل من حالة السعادة إلى حالة الشقاء والتعاسة (مثل أوديب).

4-ينبغي أن يكون سقوط البطل نتيجة نقطة ضعف في شخصيته (التسرع، التردد، الأنانية .... إلخ).

ويرى أرسطو أن النهايات غير السعيدة هي الأفضل بالنسبة للتراجيديا أما الذوق الشعبي فيفضل مكافأة الخير ومعاقبة الشرير.

أما طريقة تنمية عاطفتي الشفقة والخوف فيرى أرسطو أن استخدام العاطفة كتمهيد لوقوع جريمة قتل مثلا لا يعتبر عملا فنيا وإنما تنمي تلك العواطف من خلال الحبكة ذاتها مثل أن يكتشف القاتل أن المقتول أبوه كما حصل مع أوديب.

5. من الملحمة إلى المأساة (التراجيديا):

قارن أرسطو بين الملحمة والتراجيديا ووجد أن موضوعهما محاكاة الأشخاص العظام، لكنهما تفترقان في طريقة المحاكاة، فالطريقة في الملحمة سرد مباشر أو غير مباشر وفي التراجيديا حركة ممثلة وفي الملحمة لا يوجد مشاهدون وموسيقى كما هو الأمر في التراجيديا لأن الملحمة تقرأ.

أما من حيث الشكل الشعري تتكون الملحمة من مقاطع متماثلة، بينما تتكون التراجيديا من مقاطع متنوعة.

بينما من حيث الطول فإن الملحمة غير محددة الطول، في حين التراجيديا لا تجاوز يوما واحدا لذلك فإن التراجيديا أكثر تعقيدا من الملحمة لأنها تحتوي على عناصر الملحمة إضافة إلى الموسيقى والجمهور لهذا يرى أرسطو أن الحكم الجيد على التراجيديا في الوقت نفسه حكم جيد على الملحمة، لكن أرقى أشكال المحاكاة الشعرية هي المسرحية الشعرية لأنها تتضمن كل عناصر الملحمة إضافة إلى الموسيقى والجمهور وهي يمكن أن تقرأ وأن تمثل وهي أكثر تركيزا أو أثرا ولها وحدة أكبر.

بقي أن نسجل أنه على الرغم من اختلاف أرسطو عن أفلاطون في أفكاره ومنهجه في تناول قضية الفنون وكيفية حصول المحاكاة فيها، إلا أن

مرجعية الفيلسوف تكاد تكون واحدة، وكذلك بالنسبة لتحديد وظيفة الشعر إذ قد اهتم كل منهما بالوظيفة الاجتماعية للشعر ووضعا مبادئ مطلقة لهذه الوظيفة والفن عموما غير محددة بمكان معين أو معطيات اجتماعية محددة، فكلاهما أنكر التغير في الفن وفي الأوضاع الاجتماعية بينما المرجعية فإنها يصدران عن الفلسفة المثالية والاتجاه الكلاسيكي الذي يؤمن بأن الأدب الكلاسيكي من الممكن أن ينتج في كل زمان ومكان وهذا يعني بسيادة المنهج الشكلي وعدم ادراك العلاقة بين الأدب والأوضاع الاجتماعية وبين الشكل والمضمون، فالأدب شكل أو قالب له مهمة دائمة ونحن باستطاعتنا أن نصب في هذا القالب ملا نشاء وفي أي زمان وتخت أي ظرف.